رمزية عشتار وتحولاتها في الشعر المعاصر

(قراءة في مقاطع شعرية وفق المنهج الأسطوري)

أ.عايب فاطمة الزهراء
جامعة تبسة / الجزائر .
fatiaye82@yahoo.fr

ملخص البحث

عرف العصر الحديث والمعاصر موجات من التغيير في ظل الأحداث المعاشة إذ عانت الشعوب المستعمرة ويلات الظلم والاضطهاد، وتخبط المواطن البسيط أمام فساد الأنظمة، وهو يناضل من أجل لقمة العيش وفي ظل رفض الواقع عبّر الشاعر بصوره الخيالية عن معاناته مستخدما قناع الأسطورة التي تقاطعت دلالتها مع الحاضر الراهن، فشكّلت لغة أدبية فنية حفرت عميقا في الماضي السحيق، كما سعت أيضا إلى إبراز مدى قدرة المنهج الأسطوري في التحليل واستكشاف ما ترسمه مخيلة الشاعر (الفرد) إزاء ما يعيشه اجتماعيا، وتكمن غاية البحث في ترصد أبرز تحولات رمزية عشتار من خلال تسليط الضوء على تحوّلات البوح الجمالي الأنثوي وعلاقته بتغيير الواقع من خلال توظيف ملامح أسطورة " عشتار " في بعض القصائد الشعرية الحديثة والمعاصرة من أجل بعث الأمل ونبذ الانهزامية .

الكلمات المفتاحية : الشعر الحديث والمعاصر، الأسطورة، المنهج، عشتار

Résumé : L'époque moderne et contemporaine a connu des vagues de changement à la lumière des événements Vivés, comme les peuples colonisés ont soufré de fléau de l'injustice et de l'oppression, et la souffrance du citoyen ordinaire contre les règlements du corruption, et il se bat pour vivre, et avec le rejet de la réalité, le poète a exprimé sa souffrance par ses fantastiques images, en utilisant le masque de légende qui a boycotté sa signification avec le moment présent, elle a formé une langue artificielle littéraire a creusé profondément dans le passé lointain, il a également cherché a mettre en évidence la capacité de la méthode légendaire dans l'analyse et l'exploration de ce qu'il a dessiné l'imagination du poète (l'individu) a propos de ce qui est vécu socialement, le but de la recherche est celui de mettre en évidence les changements de Ishtar symboliques , en mettant en lumière les changements d'expression esthétique féminine et sa relation avec le changement de la réalité . en utilisant les traits légendaires de « Ishtar » dans quelques poésies moderne et contemporaine pour envoyer l'espoir et rejet de l'opportunisme.

Mots clés : la poésie moderne et contemporaine, mythe, la méthode, Ishtar .

تمهيد نظري: عرف العصر الحديث موجة من تعدد المناهج الأدبية النقدية التي تعرض أدواتها وإمكانياتها من أجل تشكيل آلية قادرة على تقديم تفسير يصوّغ نفسه أمام الباحث والقارئ، وفي خضم ذلك وقف القارئ (**المؤول**) موقف الباحث والمغامر محاولا اختيار ما يناسبه لخوض غمار قراءة النص الأدبي، ويعدّ **المنهج الأسطوري** من المناهج النقدية المهمة المطبّقة في تحليل النصوص الشعرية التي قدّمت نفسها أداة تملك مفاتيح القراءات، فآلياته استطاعت أن تقدم تفسيرات وتخريجات مقنعة للنصوص الأدبية التي عالجها فهو (**من الاتجاهات النقدية التي اضطرب بها وعاء النقد، وأصول هذا المنهج تعود إلى عالم الأديان والأساطير والخرافات وعلم الآثار والتحليل النفسي، ومفهومه يرتبط بالتراث الإنساني القديم، وما تضمنته من نماذج وأنماط وطقوس ومعتقدات، وكل الموروثات الثقافية والفكرية والدينية، والمنهج الأسطوري يحاول من خلال النص الكشف عن علاقة الإنسان بالكون، وما الأدب الجديد إلا صورة جديدة لهيئة قديمة موجودة في الأساطير التي انحدر منها الأدب سابقا** (1) وقد لامس نورثروب فراي الحقيقة حينما نظر في العلاقة بين الشعر والأسطورة وصرح أنه وُلد من رحمها بل إن " **الأجناس الأدبية كلها تدين في طفولتها لأحضان الأسطورة التي تضمنت التعبير الأصيل عن الديانات القديمة** " (2) وعليه فالتركيبة الإبداعية تتقاطع مع كل ما هو قديم فيصير التراث الإنساني، وما يحمله من معتقدات وموروثات منهلا فكريا يصوغه الأديب دونما شعور ليعبّر عن أفكاره وهموم واقعه .

وبنظرة تاريخية لبذور هذا المنهج النقدي نجد أن بعض خصائصه ليست جديدة على نقدنا الأدبي العربي فالجاحظ (ت 255هـ) يرصد هذه الصور الأسطورية، وإن لم يقدم تفسيرا كاملا حين يقول (**ومن عادة الشعراء إذا كان الشعر مرثية أو موعظة أن تكون الكلاب هي التي تقتل بقر الوحش، وإذا كان مديحا**

قال : كأن ناقتي بقرة من صفتها كذا أن تكون الكلاب هي المقتولة) (**3**) تحاول رؤية الجاحظ أن تجسد التقاطع الحاصل لمفاهيم الماضي والحاضر في الشعر، فالخيال الشعري أثناء الكتابة يستحضر الرؤى القديمة لاشعوريا، وفي هذا تأكيد على امتداد الأساطير الموغلة في القدم .

إن تتبع العديد من تعار يف **المنهج الأسطوري** يؤكد القول أنه ذلك المنهج الذي يتخذ من الأدوات الأسطورية والأنثربولوجية والتاريخية والأثرية أداة فعالة في تفسير النص الأدبي فتصبح الغاية المثلى هي فك أسراره وإدراك غايته ورسالته، ومحاولة فهم مراميه، وسنعرج بعجالة لمفهوم **المنهج** و**الأسطورة** لتقريب المفهوم أكثر **فالمنهج** يستعمله أفلاطون بمعنى (**البحث أو النظر أو المعرفة كما نجده كذلك عند أرسطو أحيانا كثيرا بمعنى بحث، والمعنى الاشتقاقي الأصلي لها يدل على الطريق المؤدي إلى الغرض المطلوب خلال المصاعب والعقبات لكنه لم يأخذ معناه الحالي، أي بمعنى أنه طائفة من القواعد العامة المصوغة من أجل الوصول إلى الحقيقة في العالم إلا ابتداء من عصر النهضة الأوروبية) (4)**

أما من الناحية اللغوية فالنهج والمنهج والمنهاج في اللغة (**الإبانة والوضوح والمنهاج الطريق الواضح، وطريق نهج : بين واضح، أو أنهج الطريق : وضح واستبان وصار نهجا واضحا بينا، واستهنج الطريق : صار نهجا، ونهجت الطريق : سلكته**) (**5**) أما الأسطورة فتعددت مفاهيمها ،ولكن سنركز على مفهومها بفعل التطور الذي شاهدته فقد استحالت إلى أخيلة يستمد الشاعر المعاصر رموزه منها ليمنح قصيدته بعدا إنسانيا عاما، وهي أقرب إلى أن تكون جمعا بين طائفة من الرموز المتجاوبة يحسم فيها الإنسان وجهة نظر شاملة في الحقيقة الواقعة، وهذا التجاوب بين رموز الأسطورة لا يمثل علاقات واضحة ومنطقية بينها وإنما هي في الغالب علاقات جدلية (**6**) وتعد الأسطورة من هذه الزاوية رؤية – فنية إبداعية – تكمن في قدرة " الشاعر" على الغوص في الشوط الإنساني الكامن في أعماقه، وأعماق من حوله، وعلى استنفار هذا الشوط، وعلى خلق هذه الأداة الفنية وتطويعها لمعاناة الشاعر (**7**) إن

هدف المنهج الأسطوري هو دراسة الأساطير والرموز الخيالية الرامية لخلق البديل، وتعويض ما هو واقعي ومادي، حيث يغدو الخيال الشعري امتدادا للأمل والحياة المتجددة بعيدا عما يمثله الواقع من مصاعب وهموم، ويساعد في تحليل النصوص الأدبية أنثربولوجيا واجتماعيا وإنسانيا كما يعمل على تأويل الصور الفنية الشعرية من خلال ربط الماضي بالحاضر، ويتجاوز الدلالات القريبة لاستبطان الباطن، وبالتالي يمكن عدّه حفرا عميقا لكل ما يمتد لمنشأ الإنسان وتطوّره، وسعيه للتغلب على الطبيعة الصعبة، وخلق فضاء الحلم المنشود، ولذلك **فالمنهج الأسطوري** يحاول استقراء اللاشعور الجمعي

ومن أهمية توظيف الأسطورة استقى البحث جوهر الإشكال للإجابة عنه : فهل استطاعت أسطورة أفروديت أو عشتار أو فنيوس أو عشتروت الوصول بجمالها إلى بعث جديد في واقعنا المعاصر ؟ وما مدى ما وصلت إليه ملامح أسطورة أفروديت في استكشاف هموم الواقع ؟ وهل توظيفها رسم معالم بعث الأمل والحلم ؟

حاول البحث تتبع صور الجمال والفتنة والغواية والخصب والبعث والتجدد بوصفها بوابات عبور تستكشف أغوار النص، وتقاطع زمنية الماضي القديم بالحاضر المعاش لحظة الكتابة الشعرية فتتقاطع الدلالات مكوّنة رؤى تتبنى فكرا إنسانيا حالما يؤمن بالتغيير والجمال ومناشدة الحق والعدل، وعشق الجمال الأنثوي الرامز للأمومة، والتكاثر والخصب والسعي لما هو أفضل حيث تفوقت أفروديت عن جميع الآلهة، واستأثرت بالحب المقدس وصوّرت انبعاثا جديدا للحياة .

ب– أسطورة عشتار وتعدد التسميات : ما من شعب من الشعوب أو أمة من الأمم إلا ولها أساطيرها وخرافاتها الخاصة بها، ومن الملاحظة أن ثمة تداخلا واضحا بين هذه الأساطير، فالأسطورة الواحدة تنمو وتتشعب لتنتقل من حضارة إلى أخرى عبر مثاقفة فكرية وحضارية، فعلى سبيل المثال يلاحظ أن أسطورة " **تموز وعشتروت أو أدونيس وعشتار هي بابلية ويونانية ورومانية وفينيقية (8)** أفروديت أو فينوس أو عشتار أو عشتروت هي إلهة الحب والشهوة والجمال والبغاء والتكاثر الجنسي وبالرغم

من أنه يشار إليها في الثقافة الحديثة باسم إلهة الحب فهي في الحقيقة لا تقصد الحب بالمعنى الرومانسي بل المقصود هو إيروس (الحب الجسدي أو الجنسي) وحسب الروايات فإن **أفروديت** الفاتنة تكوّنت من زبد البحر الذي كانت له علاقة بالإخصاب الذي ظلت أفروديت مرتبطة به في دلالة حاسمة من دلالتها الرمزية، وقد سجل هزيود **أن أفروديت أنبتت العشب الأخضر على أرض جزيرة قبرص حيث وطئت الجزيرة بقدميها الفاتنتين للمرة الأولى، وفي ذلك دليل ينطق بقوة تأثيرها على النماء، منذ أن بزغت في الأساطير اليونانية متكوّنة من الزبد الذي يشير إلى فوران الرغبة (9)** وعشتار هي إلهة الحب والخصب والحرب عند شعوب المشرق العربي القديم عُبدت في سورية ومصر وبلاد الرافدين وتفيد كلمة عشتار في الأكادية معنى الآلهة العامة، وهي مأخوذة من اسم الإلهة السورية عطار أما اسم عشتار في البابلية فيعني عيش الأرض وتعود جذور هذه الآلهة إلى السومريين الذين عاشوا في جنوبي بلاد الرافدين، وكانت تسمى عندهم إنانا (ملكة السماء) وكان مركز عبادتها مدينة الوركاء السومرية على ضفة الفرات (**10**) وفي النسخة البابلية من الأسطورة أن تموز يموت كل عام وينتقل إلى العالم السفلي، وتبحث عنه خليلته الإلهية عشتروت، وتموت عاطفة الحب أثناء غيابها للبحث عنه حتى تصبح الحياة مهددة بالفناء، فيبحث أحد الآلهة رسولا لإنقاذها وتسمح لها آلهة الجحيم " آلاتو " أن تغتسل بماء الحياة وتعود إلى الأرض مع حبيبها تموز، حتى تنبعث الحيا في الطبيعة من جديد بعودتهما (**11**) **وعشتروت هي إلهة الخصب والجمال عند الساميين، وقد كانت آلهة الفينيقيين وهي تمثال أفروديت الإفريقي واليوناني وعرفت عشتروت بشخصيتها الحربية في أسفار العهد القديم (12)** المعروف أن عبادتها كانت سائدة في جميع حواضر العراق القديم، وقد اختصت بالحب وأطلق البابليون اسمها على أشهر بوابة في بابل (**بوابة عشتار**) (**13**)

تعددت تسميات أفروديت وتشعبت لكن بحثنا لا يسعه فما يهم الدراسة علاقة توظيفها بالشعر الحديث والمعاصر، ومدى ما حققته بعض ملامحها في التعبير عن هموم الواقع، ويرى بعض الباحثين أن الإنسان " **في صراعه مع الموت أبى أن لا**

يستسلم للهزيمة، الأمر الذي دفعه إلى إبداع عالم أسطوري يتغلب فيه الانبعاث على الموت" (**14**) وانطلاقا وتأييدا لذلك سنقوم بتتبع مسار توظيف أسطورة "**أفروديت**" أو بعض ملامحها في بعض المقاطع الشعرية الحديثة و المعاصرة .

ج– أسطورة عشتار وتحولاتها في الشعر الحديث والمعاصر : وفق ما تم عرضه من أهمية المنهج الأسطوري بوصفه الأقدر على التحليل والحفر عميقا في التراث الإنساني اخترنا بعض المقاطع الشعرية الحديثة والمعاصرة، وحاولنا استنطاق بعض دلالاتها لعلنا نصل لنقطة التقاء الماضي القديم بالحاضر مناشدة وبحثا للتجدد والبعث فما من شاعر إلا ولقي الظلم والمهانة مما سبب كسر شموخه الإنساني وشرده، فلجأ إلى الحلم والتخيل، واستخدم الرموز الأسطورية المضيئة والموحية، ولعل أكثر الأساطير بعثا لروح التجدد والبعث أسطورة "**أفروديت** " فحضورها الفاتن أنتج تميّزا أنثويا صارخا استمد منه الشاعر معاني الحب والتجدد، فجعلها صورة باعثة للفرح بعد الألم تقول **نازك الملائكة** في قصيدتها " **ميلاد نهر البنفسج** "

"**وتولد عندي القصيدة**
كمولد فينوس من زبد البحر طافية مثل وردة
جدائلها أشطر عائمات
وأهدابها من حروف و من كلمات
يوسدها الليل أهدابه وهواه وسهده
ويمنحها زبد البحر خده
يرقرق في وزنها شفقا وثلوجا وزبده
ويطعم أبياتها من بريق اللآلي (**15**)

تستحضر الشاعرة أسطورة **فينوس** رمز الجمال وتشبه مخاض ولادة القصيدة عندها بما شملته من كسر لتقاليد القصيدة العمودية ببعث جديد فالتجديد في الكتابة الشعرية يتقاطع جماليا مع قصة ولادة فينوس من زبد البحر فارتباط هذه الآلهة بالبحر، وبكل ما يمت بصلة إليه شبيه بمخاض ولاة القصيدة الحديثة، فآلهة الحب والجمال

كانت حسب الروايات ترعى الزواج وتترأس مراسمه وطقوسه، فكذلك القصيدة عندها تتوالد وتتناسل بكسر ما هو قديم، ومثلما شهدت قصة فينوس الحب الخالد مع أدونيس وغسلت جدائلها بمياه البحر الزرقاء ورغم موته بين أحضانها كان بعثه من جديد لمواسم الخصب والعطاء، فكذلك القصيدة فهي بكسرها لما هو سائد تبحث عن بعث جديد، وهي جميلة كوردة من حيث الشكل تنطلق مع الليل وهمومه معبّرة بصدق العاطفة عن مضمونها فيمنحها زبد البحر المحيل لولادة "**فينوس** " تقنيات حديثة غير معهودة من حيث الشكل فتصير القصيدة عند نازك أنثى فاتنة توحي بالإغراء والخصب، وتبعث ميلادا جديدا لعصر الحداثة وما شاهدته من تغييرات في الشكل والمضمون فتتقاطع الدلالات "**زبد البحر**" يحيل لميلاد "**فينوس**" استحضاره **يناشد ميلاد القصيدة الحديثة**، فيصبح جمال فينوس المغري يقابله ولادة قصيدة كسرت نمطية القصيدة العمودية .

إن الأنثى (**فينوس**) تحدّت جميع الآلهة وصارت رمزا للإغراء والفتنة الذي لا يقاوم كذلك ميلاد القصيدة الحديثة عند نازك تراه بعثا جديدا للجمالية والفتنة، فتكون لغة الشعر غواية تترأس ميلادا جديدا للتناسل سيشهد ثورة قائمة لما هو سائد فتبعث الفنيات الجديدة أنوثة صارخة شبيهة بجمال فينوس الباهر ويبقى توظيف الأسطورة أو بعض ملامحها يحمل دلالات قابعة تحتاج عمقا وحفرا لما هو قديم وغابر في عصور مضت فها هو **عبد الوهاب البياتي** يوظف وجها من وجوه الأسطورة " **عشتار** " في قصيدته:(**العودة من بابل**)

بابل تحت قدم الزمان
تنتظر البعث ..... فيا عشتار
قومي املأي الجرار
وبللي شفاه هذا الأسد الجريح
ولتنزلي الأمطار
في هذه الخرائب الكئيبة (16)

يستحضر الشاعر " **عشتار** " الأسطورة واقفا عند بابل رمز الحضارات طالبا منها كأنثى أن تبعث روحا جديدة تنفض عنها زمن الخذلان فتبعث من الموت حياة جديدة، ومن الهزيمة انتفاضة ثم يأمرها أن تملأ الجرار وتبلل شفاه الأسد الجريح، وهي من ملامحها فحسب ما رُوي عنها أنها كانت تمتطي أسدا وهو رمز حبيبها تموز كدلالة على حب القيادة وإيمانها بالثورة، والماء والمطر لهما ارتباط لأنهما يرمزان للخصب والنماء والتجدد فهو بعث جديد للأرض بعد موتها، فالجفاف يعقبه الخضرة والألم يعقبه الفرح فيكون عصب القصيدة الشعري يتراوح بين الحضور الفاتن المحيل للبعث، وبين ولادة جديدة لعصر شهد الظلم والهزيمة، وليس غريبا اتصال الخضرة من حيث هي رمز بالماء بالبعث الجديد الآمل بالتجدد(**ففي المجتمعات الزراعية ربطوا بين سر الخصوبة في المرأة، وسر الخصوبة في الأرض، فعبدت المرأة بوصفها أما، ورمزوا إليها في طقوسهم وشعائرهم بآلهات وأمهات، فاتصل معنى الأمومة بمعنى المعبود في حالة الآلهة الأم الأرض والآلهة الأم المرأة** (**17**) تتقاطع ملامح أسطورة **عشتار** من بعثها للحياة بعد الموت للأرض ومناشدتها للخصب والتكاثر كرمز للأنثى الجميلة والفاتنة والمغرية مع أحلام أنا الشاعر الحالم بغد أفضل، فيشكّل حضورها الفاتن بعثا جديدا لحياة متجددة تناشد الأمل والحب ويخاطب عشتار في موضع آخر قائلا :

طفلة أنت وأنثى واعدة

وُلدت من زبد البحر ومن نار الشموس الخالدة

كلما ماتت بعصر بُعثت

قامت من الموت وعادت للظهور

أنت عنقاء الحضارات

أنثى سارق النار (**18**)

يخاطب الشاعر " **عشتار** " مرة أخرى باعثا من تناقضها عصرا جديدا فهي الطفلة البريئة والأنثى الفاتنة الواعدة بالإغراء فلطالما عذّبت الكثير بجمالها حسب الروايات، وقد وُلدت من زبد البحر فكان كل ما يتصل به رمزا لها فحسب ما قيل أنها

ظهرت داخل صدفة في البحر كاللؤلؤ، وكانت في غاية الجمال وعارية الجسد لتظهر جمالها كما وُلدت أيضا من نار الشموس الخالدة، وكانت تُعبد وفي موتها بعث جديد للحياة ما جعلها عنقاء الحضارات المتجددة بعد الموت، فتحرير تموز القتيل من عالم الأموات والصعود به إلى السماء فيه استمرار لدورة الخصب والحياة فموت الآلهة الأم لا يقل أهمية عن انبعاثها من جديد، كما أنها أنثى برومثيوس الذي سرق النار كرمز لشعلة المعرفة وأهداها البشر.

إن استحضار الأنثى **عشتار** يتقاطع زمنيا مع أمل بعث جديد لواقع يعايش الهموم والمشاكل والفساد، فالشاعر من وراء توظيفه لسحر **عشتار** الجمالي والفاتن يناشد الحياة والبعث فشعلة النار المسروقة في الأسطورة كان هدفه إهداء المعرفة، وهو شبيه بالنار المتأججة في أعماق الشاعر الراغبة في بعث جديد " **والنار هي الحي الأعلى وهي داخلية وخارجية تحيا في السماء، وتصاعد من أعماق الجوهر وتتبدى لنا حبا ثم تعود فتهبط إلى قلب المادة وتختفي منطوية** (**19**)

يوظف الشاعر بعض من ملامح **عشتار** الأنثى الفاتنة والباعثة للخصب مناجيا أحلامه وأمله ببعث عصر جديد يؤمن بالمعرفة والعدالة في ظل ما يعانيه من كبت للحريات في بابل مهد الحضارات، وتتواصل فنيات التوظيف المتقاطعة بين ماض وحاضر متجدد، وهاهو **البياتي** يحمّل قصيدة أخرى بعض الدلالات المعاصرة، والتي سنتناول منها مقطعا لعلّنا نحاول استبطان أغوار النص ونقرأ ما تمّ توظيفه.

يقول **البياتي** في قصيدته (**مرثية إلى عائشة**) :

تبكي على الفرات عشتروت

***تبحث في مياهه* عن خاتم ضاع وعن أغنية تموز**

تندب تموز فيا زورق الدخان

عائشة عادت مع الشتاء للبستان

صفصافة عارية الأوراق

تبكي على الفرات

تصنع من دموعها، حارسة الأموات

تاجا لحب الموت (20)

- يستحضر الشاعر جوّا جنائزيا مع بداية المقطع فكأنما يريد تصوير مأساة تتقاطع معها دموع **عشروت** بعد ضياع حبيبها " **تموز** " ففي " **الديانة السومرية عدّت مأساة عشتروت (آلهة الحب والجمال) في تموز أول مأساة وكانت الأكثر تسمية في بلاد تموز**" (**21**) فبكاء **عشتروت** كوّن مياه الأحزان لكن الفقدان والألم تبعه البعث والفرح الخالد فبعد الموت تجدد وأمل فحسب الروايات أن (**أن أسطورة تموز الإله القتيل وقيامته من جديد كان يعاد تمثيلها سنويا في احتفال ديني طقوسي ضمن مهرجان السنة البابلية الجديدة ويساهم فيه مجموع الشعب، وهو مايشبه اليوم الاحتفال بالربيع والخصب والحياة**) (**22**) تستلهم أغنية الموت التجدد والبعث فكما أن الأرض تشهد الجفاف والصفرة ثم التجدد والخصب كذلك الأوضاع الانهزامية التي يعيشها الشاعر فيتمنى التغيير والأفضلية والأمل وتتقاطع ملامح الأسطورة (**تموز**) مع استحضار رمزية " **عائشة** " عند البياتي التي يلبسها نفس الملامح بطريقة مغايرة فتموز يعود مع الربيع باعثا الخصب والنماء، ولكن عائشة تعود مع الشتاء فتتشكّل جدلية الزمن ،ولكنها تتقاطع في نقطة واحدة هي البكاء على الحب المفقود المولّد للانبعاث الجديد فبعد الألم يخلق الأمل، ومع الدمع يتجدد الانبعاث. إن استحضار رمزية **عشتروت** أو **عائشة** يحيل لحزن الشاعر الدفين المعبّر عنه بأمل للبعث والتجدد والتغيير.

ويتواصل توظيف ملامح أسطورة **أفروديت** أو **عشتار** أو **عشتروت** أو **فينوس** في القصائد الشعرية المعاصرة مبرزا أهمية الحضور الفاتن وانبعاث الحياة بعد الموت ،وهاهو الشاعر الفلسطيني **سميح القاسم** يستحضر إحدى الملامح في قصيدته (**عمامة للملوك طربوش للأغا وقداس لبيروت**)

لشقائق النعمان أن ترتاح

في أفياء أرز الله

للدوري أن يأوي لعش

آمن من شهوة الأفعى

وأن يشتاق قرميد الليالي المقمرة

ولقلب عشتاروت وأن ترتاح من ضوضاء طائرة تدمر وردة (23)

يستحضر الشاعر " **شقائق النعمان** " التي تذكرنا بمأساة أدونيس فحسب الروايات المنقولة فجرح أدونيس عند خروجه للصيد يوما لم تفلح حبيبته عشتاروت في إيقافه رغم تضميده له بالعطر فانبثقت زهرة حمراء لونها لون الدم "**شقائق النعمان** " فكانت رمزيتها دالة على الألم والحب المفقود، ولكن مع هذا الألم تفاؤل ودعوة وانبعاث للتجدد فمثلما خلّد الحب الزهرة فكذلك سيخلد الألم الأمل والدعوة لمناشدة الأفضل، فالراحة ملاذ بعد الشقاء فكما يأوي الدوري لعشه طالبا الآمن كذلك أمل المواطن البسيط الساكن في بيت لا يليق أن يناشد العدالة في تحقيق معيشة أفضل وأن يأمن غدر وجور السلطان.

إن تقاطع الأسطورة الغابرة في الزمان التي استعان منها سميح القاسم ملمح شقائق النعمان يستبطن ألم الفراق والأمل في البعث ليصوّر لنا نفس معاناة الفقير البائس، فكما ناشد الحب التجدد والعودة بعد الموت كذلك حلم الشاعر أن ينبعث بعد الموت عصر الثورة على الأوضاع الراهنة التي انعدمت فيها العدالة وتسلط فيها القوي على الضعيف، وهو يربط حزن **عشتاروت** على فقدان حبيبها بحزن المواطن البسيط المظلوم فالحداد على موت أدونيس الذي خلّدت قصته بشقائق النعمان يوحي أن الألم بعده خلاص، وهذا ملاذ الشاعر أن ينصر المظلوم ويعيش حياة الأمن والاستقرار ،وهذا ما يوضحه استحضار ملمح "**شقائق النعمان المحيل**:

لمزيج من الألم

وتخليد لحب دائم

وحزن لفقدان الحبيب

يقابله المواطن البسيط الذي يعاني : ألم من ظلم ومعاناة وتأريخ لحاكم جائر لواقع مأسوي معاش

البعث المنشود : تخليد ذكرى أدونيس مناشدة حياة وبعث جديد

الثورة ضد الظلم : تخليد ذكرى ضرورة الدفاع عن الحقوق المسلوبة

نستخلص أن توظيف ملمح **شقائق النعمان** الدال على قصة حب **عشتاروت** هي دعوة للثورة ضد الجور وقهر الألم ومناشدة الخلاص، وتتواصل حكاية أسطورة الجمال والفتنة الباعثة لصور الانبعاث لنقف هذه المرة مع بعض المقاطع الشعرية الجزائرية المعاصرة

يقول عبد الحق المواقي في قصيدته أقبية الروح:

سجل على صفحات القمر

لحظة البدايات ،

ولعشتار سرد النهايات

ولا نهايات حين ودعت عشتار زمانها

ونامت ساعتين وصارت حلما

.....

سيزيف يا سيد زماننا

بكت عشتار اليوم أكثر من الأمس

.....

في هذا المدى المفتوح

أمام الموت والنسيان

عشتار يا سيدتي

حين التقينا كان العناق بيننا ونسينا مع الدمع ترتيب المواسم

.....

عشتار سيدتي

تعبت من الرؤى البعيدة

تعبت من حمل هذا النشيد

فأنا المنفى داخل شرابيقي

بين أبراج الغربة والمدائن البعيدة (24)

يستحضر الشاعر صفحات " **القمر** " ويمثله بداية المولد وحكايته **عشتار** النهاية والبداية ففي موتها انبعاث جديد وحسب الروايات أن هناك اعتقاد سائد (**أن ثمة زواجا أسطوريا مرة كل شهر لألهين قائمين بنفسيهما هما القمر والشمس (25) وكانت الزهرة ثمرة ذلك الزواج(26) "فالشمس والقمر** " رمزان للذكورة والأنوثة والزهرة هي آلهة الحب والجمال لدى العرب، وقد ذكر اسمها في النصوص العربية الجنوبية (عشتر) المرادفة ل (فينوس) لدى اليونان ..... وهي مصدر الإغراء والإثارة الجنسية' وما توظيف صورة الذكورة مع الأنوثة إلا تذكيرا بتناسل الآلهة الأم وبعثها للتجدد، فحلم البعث المتجدد قابعا في أنا الشاعر وهاهو يناشد بداية الميلاد ويتعلق بالحلم فمطاردة **عشتار** وأملها في عودة حبيبها من عالم الأموات يكشف عن ذات شاعرة معذّبة تسرد حنينا لماض كانت ترى فيه المولد والآمان، وتواصل الذات استحضار أسطورة أخرى للمعاناة والأمل إنها أسطورة سيزيف المعذب بالحبيبة فيستلهم الشاعر المعاصر صورة الألم وبكاء الآلهة عشتار فيقرنه بعذابه الأشد فكأنما جنائزية ألم الزمن السحيق لقصة **عشتار** التي تولد عنها البعث لقصة الحب الخالد ملاذ حلم الشاعر، وهاهو يكرر الاستحضار مرة أخرى ل " **عشتار** " أملا في انبعاث جديد فمع الألم يتمخض الفرح ومع اليسر يأتي اليسر ،وأمام الموت لغة الفراق الأبدي والنسيان يلتقي الشاعر مع الحبيبة " عشتار " حالما بانبعاث جديد فمع الألم يتجدد اللقاء، وأمام الموت لغة الفراق الأبدي، ومع الحنين يلتقي الشاعر مع الحبيبة " **عشتار** " فيكون

اللقاء نسيان للدمع ولعل الشاعر يناشد وطنه البعيد عنه، ويتمنى وصله فكما كانت عشتار ملاذا للشهوة لكل محب نظرا لجمالها الباهر فكذلك حب الوطن بالنسبة للشاعر فرغم الفراق يحلم بالوصال فتصير عشتار (**الأنثى**) وطن الشاعر المفقود ويصير هو الحبيب الضائع، وتتواصل حكاية الشاعر الآمل فيخاطب مرة أخرى حبيبته الجميلة "**عشتار** " المحيلة لوطنه بأوجاعه الدفينة بين تعب أحلامه وغربته عن وطنه وحنينه وشوقه، وما استدعاء توظيف القمر رمز الذكورة والتذكير بميلاد **عشتار** وذكر ألم الفراق والانبعاث للحياة من جديد إلا وسائل فنية يحكي فيها الشاعر عن همومه وهو بعيد عن وطنه الأم، ومن الغربة والشوق ينبعث أمل العودة والمعانقة والوصل .

وتستمر الحكاية مع حضور الجمال الفاتن بوصفه سرا للغواية والانجذاب فكم من عاشق طامع لآلهة الحب والجمال فهي رمز الفتنة والسحر لذلك تحدّت الجميع بجمالها وهاهو **عثمان لوصيف في قصيدته " ريشة خضراء "**

(أنت الملكة وأنا العبد

ماذا أقول ؟

أقول : علّميني كيف يصوغ الشعر

علميني كيف يمارس الحب

يا **إلهة الحب** (**27**)

يصوّر الشاعر قصة حبّه وافتتانه بالمحبوبة فيستحضر صورة ملكة الحب وملهمة الشعراء والنحاتين إنها إلهة الشعر " **أفروديت** " فصورة جمال الحبيبة المعشوقة لم يجد لها الشاعر بديلا سوى آلهة الحب رمز الجمال فهي مصدر الغواية والتجدد والخصب وملهمة الشعراء كذلك صورة الحبيبة عند الشاعر يراها بعيون العاشق الذي لم يجد لها شعرا يناسب جمالها إلا باستحضار إلهة الحب .

إن الحضور **الجمالي لأفروديت** يناسب مقام الشاعر المعاصر المعبّر عن صدق عاطفته فما من آلهة أخرى شهدت فتنة جمالها، ويقول في مقطع آخر :

(يا سيدتي القريبة .... البعيدة !)

إن الأمواج تجرفني

واللجج تبتلعني

وأنا أغرق ...واختنق

!آه يا سيدتي القريبة .... يا سيدتي الطاغية

" مدّي يديك من خلال الظلام وغشاوات الغمام

أنقذيني فأنا أموت (28)

تستمر حكاية العاشق الولهان مرة أخرى وتتقاطع مع مناداة سيدة الجمال والأنوثة الفاتنة فهي "البعيدة" و"القريبة"، ولعل الشاعر يوحي بالتناقض الحاصل مناشدة الجسد الحاضر،والروح الغائبة فعذابه وحبه لا تعلّمه الحبيبة شبيه بإغواء أفروديت وجبروتها المعذب للكثير من عشاقها، وما استدعاء الأمواج إلا تذكيرا بعلاقتها لكل ما يمت للبحر من صلة كيف لا وهي المولودة من زبده، وهاهو الشاعر يفصح عن موته غرقا في حب هذه الحبيبة المعذّبة الشبيهة بأفروديت في تعذيبها للآخرين، ومع الموت الأمل بالانبعاث وتجدد الحياة ومواصلة سباحة الحب فهو يطلب من الحبيبة أن تمد يديها وتنتشله من الظلام وغشاوات الغمام وفي انتشاله بعث جديد لحب سيشاهد النور بعد الضبابية فبعد إدراك الحبيبة قصة الحب المعذبة ستواصل مسيرتها مع الحبيب وهذا ما يتمناه الشاعر.

ولعل أروع ما استوقفني في توظيف أسطورة أفروديت أحد روائع **الشاعر محمود درويش** الذي اختار لها اسم أنات فكمما وضحنا فالتسميات متعددة حسب رحلة الأسطورة من مكان لآخر يقول محمود درويش في قصيدته **أطوار أنات**

بصولجان اللازورد وخاتم العذراء:لا

تتأخري في العالم السفلي

عودي من هناك إلى الطبيعة والطبائع يا أنات

جفت مياه البئر بعدك

جفت الأغوار والأنهار جفت بعد موتك – والدموع

تبخرت من جرة الفخار وانكسر الهواء من الجفاف

كقطعة الخشب

انكسرنا كالسياج على غيابك جفت الرغبات فينا

والصلاة تكلست

لاشيء يحيا بعد موتك

والحياة تموت كالكلمات بين مسافرين إلى الجحيم

فيا أنات

!لا تمكثي في العالم السفلي أكثر

ربما هبطت آلهات جديدات علينا من غيابك

وامتثلنا للسراب

وربما وجد الرعاة الماكرون آلهة قرب الهباء وصدقتها الكاهنات

فلترجعي، ولتُرجعي أرض الحقيقة والكناية

أرض كنعان البداية

أرض نهديك المشاع

وأرض فخذيك المشاع (29)

يناشد الشاعر القومي محمود درويش الآلهة أنات بالعودة من العالم السفلي عالم الأموات إذ يتوسلها أن تعود إلى الطبيعة منبع الخير والتجدد والحياة فالجفاف قد عمّ برحيلها وانتظار عودتها صاحبه الحزن بالدموع وجفّت الرغبات من بعدها، ولا حياة بعد طول مكوثها في العالم السفلي فأنات كرمز للجمال والحب والخصب والأمومة وآلهة التحدي باعتبارها قرينة الحرب كما أنها مصدر الحنان حسب ما رُوي عنها كونها تعطف على الجميع استحضرها الشاعر وهو يرى واقعه المرّ أمام فقدان الهوية والظلم والاضطهاد، ولذلك يخاطبها أن لا تمكث في العالم السفلي أكثر فمكوثها فيه غياب للتجدد والبعث وربما ازدادت الأوضاع ألما وكثرت الضحايا وصار الوهم والسراب هو المسيطر، ويواصل الشاعر تخوّفه من غياب أنات لأنها فرصة لازدياد الظلم لذلك فهو

يرجوها أن ترجع وتُرجع أرض الحقيقة لأن الهوية المفقودة بسبب الاستلاب والاستعمار مجرد وهم لأن الحقيقة التاريخية أن كنعان هي البداية وأرض الخصب والتوالد بأجيالها المتلاحقة كما أنها أرض الجمال فما استحضار أسطورة أنات ما هو إلا أمل بالبعث بعد الظلم المشاع فحسب الروايات " **يعتبر هبوط إنانا إلى العالم السفلي أول ملحمة إنسانية حول موضوع الإله الفادي بحيث تقوم إنانا بتضحية اختيارية وتنزل إلى العالم السفلي بحيث تلبث ثلاث أيام ثم يسعى خادمها الأمين لاستعادتها**" **(30)**

إن استعانة الشاعر بأنات ودعوتها للعودة من عالمها السفلي ما هو إلا دعوة للثورة من أجل استرجاع الأرض المسلوبة فإذا كانت الآلهة أنات رمز الأمومة والقيادة في الحرب و للتجدد الحياة فدعوتها ما هو إلا أمل لضرورة التسلح ضد الطغيان فالأصل الأول كان حسب التاريخ لكنعان مهد الحضارات ولذلك فهي شبيهة بمولد أنات في بعث الحياة فهي الأم الأولى.

خاتمة :

تطرق البحث للنزر القليل من ملامح أسطورة أفروديت أو فينوس أو عشتر أو عشتروت وفق تتبع بعض المقاطع الشعرية الحديثة والمعاصرة في محاولة للتوسل بالمنهج الأسطوري، كما استنطق دلالاته التي حفرت عميقا في الزمن السحيق فتقاطع الماضي مع الحاضر، وامتد البعد الإنساني في تصوير الألم والجمال والفراق والغربة والخصب والتجدد والحياة، وتمّ التوصل لجملة من النتائج تمثلت فيما يلي :

1- صوّرت أفروديت أو عشتر أو عشتروت أو فينوس حضورا فاتنا أنثويا عبّر عنه الشاعر بذكر بعض من ملامحها مناشدا وحالما لما يتمناه وما يريده من الحياة باعتبار الجمال سحرا يبعث لما هو أفضل.

2- شكّلت صورة الانبعاث لأسطورة أفروديت ملاذا للشاعر لفتح باب الأمل رغم ما يعيشه في واقعه من انهزامية.

3- ناشد الشعراء حب الوطن باستحضار أسطورة أفروديت فكانت الآلهة الأم انبثاقا لقصة حب للوطن الأم المنفصل عنه.

4- عكست ملامح الأسطورة فنية عالية في حسن التوظيف فعدّت ملامحها بعدا جماليا في القصيدة الحداثية.

5- ربط الشاعر المعاصر ألمه الراهن بألم أفروديت المنفصلة عن حبيبها وناشد التغيير من خلالها صورة الانبعاث والأمل في الحياة بعد البعث.

6- استفز توظيف ملامح الأسطورة أفروديت " القارئ " بخلق دافعية البحث الموغل في أعماق الأسطورة في الزمن السحيق.

7- شكّل الحضور الفاتن للأسطورة دورا في مصداقية التعبير من خلال مناشدة الجمال والخصب والتجدد فعكس صورة شاعر إنساني يحس بمعاناة الآخرين.

أخيرا إن تتبع مسار تحولات أسطورة عشتار يحتاج جهدا مضنيا نظرا لتعدد التسميات وانتقال الأسطورة من حضارة إلى أخرى لذلك لامس البحث النزر القليل محاولا ربط ملامح دلالات الأسطورة الموغلة في القدم ببعض المقاطع الشعرية الحديثة والمعاصرة متوسلا بالمنهج الأسطوري لذلك لا يخلو البحث من نقائص نظرا لسعة الموضوع الذي يحتاج وقتا طويلا، وبحوث شاقة تحفر عميقا في دراسة هذه الأسطورة لتربطها بما تم استحضاره في الشعر الحديث والمعاصر.

الهوامش:

1- عبد الرزاق حسين : في النص الجاهلي قراءة تحليلية، مؤسسة المختار للنشر، ط1، القاهرة، 1998، ص 29

2- فراي، نورثروب فراي : في النقد والأدب – الأدب والأسطورة، ترجمة : عبد الحميد شيحة، القاهرة، النهضة المسرحية، 1989، ص 34-35

3- الجاحظ: الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ج2، البابي الحلبي، ط1، مصر،1965، ص 132

4- السيد تقي الدين: أصول البحث الأدبي ومناهجه، دار النهضة المصرية، ط1، القاهرة، 1954، ص 145

5- ابن منظور: لسان العرب، ج2، دار صادر للنشر، بيروت، ط1، 1968، ص 338-384

6- ينظر إسماعيل الدين عز الدين : الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، ط3، 1978، ص 174 ـ214

7- ينظر : جلال الفاروق الشريف، الشعر العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1976

8- ينظر عبد المعطي شعراوي : أساطير إغريقية " أساطير البشر "،ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، القاهرة، 1982، ص 171-172

9- مجلة العربي: أوراق أدبية، العدد رقم 551، أكتوبر، 2004، ص 72

10- www.marefa.org/inde

11- عوض ريتا : أسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربي الحديث، المؤسسة العربية، ط1، بيروت، 1978، ص 42-43

12- زيدان رقية : أثر الفكر اليساري في الشعر الفلسطيني، دار هدى للنشر، كفر قرع، ط1، 2009، ص 269

13 www.Yekitiya-star.com

14 -عوض ريتا : أسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربي الحديث، ص 39-40

15- نازك الملائكة: ديوان (يغيّر ألوانه البحر)، منشورات وزارة الإعلام، بغداد، العراق، 1977، ص 115

16- البياتي عبد الوهاب : الأعمال الكاملة، مج3، دار العودة، ط3، بيروت، 1979 ينظر قصيدة (العودة من بابل).

17- قصي الحسين : أنثربولوجية الصورة والشعر العربي قبل الإسلام الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، 1993، ص 113

18- البياتي عبد الوهاب : الأعمال الكاملة ينظر قصيدة (قصائد حب إلى عشتار).

19- غاستون باشلار : النار في التحليل النفسي، ترجمة : نهاد خياطة : دار الأندلس، ط1، بيروت، 1984، ص 15

20- البياتي عبد الوهاب : الأعمال الكاملة ينظر قصيدة (مرثية إلى عائشة).

21- ينظر : طقوس الزواج المقدس عند السومريين إنانا ودوموزي، صموئيل كريمر ترجمة : نهاد خياطة، طرابلس، لبنان، منشورات مكتبة السائح، ط 1، 1987، ص 19

22 ـ مقال فاضل سوداني http:// yhtology .. maaber

23- القاسم سميح : أخذة الأمير يبوس، دار النورس الفلسطينية للنشر والتوزيع، 1990، ص 35

24- عبد الحق مواقي : أقبية الروح، دون دار نشر، الجزائر، 2000، ص 39-40-41-42

25- ينظر ديلتف نيلسن وآخرون : التاريخ العربي القديم، ترجمة : فؤاد حسن، القاهرة، 1959، ص 202

26- ينظر محمد سليم الحوت : في طريق المثولوجيا، بيروت، 1997، ص 91

27- عثمان لوصيف : الريشة الخضراء، عشرون رسالة حب، منشورات التبيين الجاحظية، الجزائر، 1999، ص 74

28- عثمان لوصيف، المرجع نفسه، ص 54

29- محمود درويش : لماذا تركت الحصان وحيدا، منشورات رياض الريس، ط2، بيروت، لبنان، 1993 (قصيدة أطوار أنات) **www. Nkawa.com/forum/ index –30**